المرأة الأندلسية: دور وقيادة – عائشة الحرّة أنموذجًا

Andalusian Women: Role and Leadership – Aisha Al-Hurra as a Model

سينا مقلّد

الجامعة الأمريكية في بيروت (AUB)

sm229@aub.edu.lb

تاريخ الاستلام: 2022/04/09 تاريخ القبول: 2022/04/25 تاريخ النشر:2023/03/30

ملخص:

لعبت المرأة دورًا فاعلاً في الحياة الثقافية والسياسية في التاريخ العربي، ولا سيما في الأندلس. قدّمت عائشة الحرة أنموذجًا مضيئا للمرأة التي دافعت عن تمسّك العربي بوجوده في الأندلس، وقادت حركة مقاومة تمكّنت من إبقاء ابنها عبد الله على العرش، وفي إطالة عمر الدولة العربية هناك. كما أسهمت في تغيير الدور الثقافي والسياسي للمرأة الاندلسية، وفي إقامة مُلك آخر ملوك العرب في غرناطة. وسيطرح البحث الاشكالية / السؤال: هل كانت المرأة الاندلسية في مستوى الأحداث الجسام؟ وهل تمكّنت في التأثير الايجابي في الحياة السياسية والثقافية في الاندلس؟ تقسم الدراسة إلى عدّة أجزاء، يتقدّمها لمحة عامة عن دور المرأة في الحياة الأندلسية، ولا سيما السياسية منها، ثم الدور الذي لعبته عائشة الحرة وتأثيره في الحياة السياسية، ليخلص إلى النتيجة النهائية للبحث. أما المنهج المتبع فهو المنهج السوسيولوجي أو التاريخي، حيث يعتبر المجتمع وعاء السياسة، لذلك فإن هذا المنهج يقضي إلى دراسة القضايا السياسية من منظور اجتماعي يعتمد في علاقاته على التفاعل والانسجام.

كلمات مفتاحية: السياسة، المرأة، عائشة الحرة، المجتمع، الأندلس.

Abstract:

Women played an active role in cultural and political life in Arab history, especially in Andalusia. Aisha Al-Hurra presented a shining example of the woman who defended the Arab presence in Andalusia. She led a resistance movement that managed to keep her son Abdullah on the throne, and to extend the life of the Arab state there. She also contributed to changing the cultural and political role of Andalusian women, and to the establishment of the monarchy of the last Arab kings in Granada. The question: Was the Andalusian woman able to have a positive impact on the political and cultural life in Andalusia? The paper studies the role of Aisha Al-Hurra and its impact on political life. The sociological/historical approach was followed, where society is considered a

container of politics, leading to the study of political issues from a social perspective that depends on interaction and harmony.
Keywords: Politics; women; Aisha al-Hurra; Society; Andalusia.

عائشة الحرة المعروفة عند الاسبان باسم مادري بو عابدول[1]

المرأة العربية في الأدوار القيادية، نساء رئيسات في دولة الاسلام، موضوع يدعو إلى الاهتمام؛ بل إنه عنوان مشوّق يدفع إلى البحث والتساؤل.

ألم يحفل التاريخ الاسلامي والعربي بنساء رئيسات؟ ألم يكن للمرأة في هذا المجتمع أثر في صنع القرار والتاريخ؟ وإذا لم يكن، فلماذا؟ وإذا كان، فلماذا لم يُتناول بشكل يتناسب مع حجمه؟ ألئنّ المجتمع العربي تميّز في مراحله التاريخية الكبرى في تغليب الذكور على الاناث بالسلطة الاجتماعية والرئاسة الدينية والسياسية، وجرى التمييز ما بين المرأة والرجل بتحديد موقع المرأة حيث التّلقّي والتبعيّة، وموقع الرجل حيث السيادة والتوجيه؟!.

لعلّها ليست المناسبة الأولى التي يُحظى فيها موضوع المرأة بالاهتمام، فقد سبق إليه باحثون كثر في الشرق والغرب، وقد تعدّدت أشكال هذا الاهتمام ووجوهه، فهناك فصول عنه في مؤلّفات كثيرة عن التاريخ الفكري، أو التاريخ السياسي، أو التاريخ الأدبي للمرأة العربية، وهناك مقالات في المجالات العلمية وبحوث مفردة تتضمّن معالجات من جوانب متعدّدة. لكن أن يكون البحث متخصّصًا في جانب أساسي كان له الأثر الكبير في توجيه حياة ومصائر الشعوب الاسلامية والعربية، لهو الحافز الأكبر للدراسة.

وفي الواقع، نحن لا نملك حتى اليوم، دراسة شاملة جامعة، تتناول بالعرض والنقد شخصية المرأة العربية الاسلامية بشكل عام، وما كان لها من دور وأثر في التاريخ الاسلامي والعربي، وليس ذلك بسبب غياب المرأة عن مسرح الحدث، ولكن بسبب المفاهيم القبليّة حول دورها في نظر مجتمعنا العربي والاسلامي. ذلك أنّ الصراع من أجل الهيمنة هو صراع اجتماعي وتاريخي يرتدي طابع الثبات والديمومة، حتى خلال حالات التوازن العادل، سواء أكان ذلك في الجاهلية أم في عصر صدر الاسلام.

المرأة المسلمة والعربية، لم تكن معزولة عن الحياة العامّة؛ بل كان لها شأن مهم في شتّى الميادين، وقد حفظ لنا التاريخ عددًا كبيرًا من أسماء النساء اللواتي عُرفن بالقدرة وحسن الإدارة، والحكمة والدّهاء، وتولَّينَ المُلك والمناصب القيادية الرفيعة [2] وقبضن على زمام الأمور السياسية، وتعاطَين شؤون الحرب [3]، سواء لجهة القيادة أو لجهة استثارة همم المحاربين وبث روح الحماسة فيهم [4]، كما شاركن الرجال في كل الأعمال والميادين [5]، وكنّ موضع ثقتهم ومرجعهم واستشاراتهم في المهمّ من أمورهم [6].

وقد عرفت مملكة تدمر [7] ملكة عربية من أعظم الملكات والملوك في التاريخ، وهي زنوبية أو الزّباء [8] التي بلغت تدمر في عهدها قمّة عزّها [9]. كذلك حدّثنا القرآن الكريم عن بلقيس ملكة سبأ [10]، وعن قصّتها مع النبي سليمان [11]، ونذكر في العصر العباسي الخيزران بنت عطاء التي مثّلت دورًا عظيمًا في خلافة ولدها الهادي حتى شاركت في شؤون الدولة العباسية [12]، وزبيدة بنت جعفر المنصور، وكانت ذات يد طولى في الحضارة والعمران والعطف على الأدباء والشعراء والأطباء، ومن ذوات العقل والرأي والفصاحة والبلاغة، وقد تدخّلت في سياسة الدولة لتولي ابنها محمد الأمين الخلافة بعد وفاة أبيه هارون الرشيد، ولمّا قتل الأمين أشار عليها بعض خدمها بالخروج والمطالبة بثأره فرفضت حتى لا تثير الفتنة [13]، وهذا دليل على حسن تدبيرها وتبصّرها في الأمور. ولو أردنا أن نذكر النساء اللواتي تركن بصماتهن في التاريخ الاسلامي لضاق بنا المجال.

وإذا كانت هذه الحال في المشرق العربي والاسلامي، فإننا نقول إنّ الأندلس ما زالت تحتاج إلى مزيد من البحوث والدراسات الجادّة والعميقة التي تعالج مختلف ملامح حضارتها ومظاهر الحياة فيها، وذلك على الرّغم من كلّ الجهود الجبّارة المشكورة التي بذلها علماء التاريخ ومؤرّخو الأدب والفلسفة والفن وغيرهم من المهتمّين بالدراسات الأندلسية، من أمثال أنخل بالنثيا وليفي بروفنسال وآخرون عرب. وربما كان أشدّ ما تفتقر إليه المكتبة العربية بالذّات هو الدراسات الشمولية التي تنظر إلى حضارة الأندلس ككلّ متماسك، والتي لا تكتفي بمجرّد السرد الوصفي على ما تفعل معظم كتب التاريخ [14]؛ وإنّما تحاول تحليل تلك الحضارة في ضوء نظرية معيّنة من نظريات فلسفة التاريخ، أو نظريات

الثقافة، أو البناء الاجتماعي التي يستعين بها علماء الاجتماع في المجتمعات التقليدية ذات الحضارات القديمة العريقة.

ومع أن الحضارة العربية الاسلامية بعامّة، تفتقر إلى مثل هذه الدراسات، فإنّ الحاجة أشدّ إليها بالنسبة إلى حضارة الأندلس باعتبارها (حالة) فريدة في تاريخ الاسلام، لأنّها الحالة الوحيدة التي تمثّل قيام حضارة متمايزة، هي مزيج من ثقافة الاسلام والثقافة الوطنية التقليدية الأصيلة، وازدهار تلك الحضارة ازدهارًا هائلا بحيث تركت بصماتها على التاريخ الاسلامي كلّه؛ بل والعالمي، ثم ضعف وذبول وتدهور هذه الحضارة وتراجعها حتى اندثرت [15] عندما سقطت دولة بني الأحمر [16] في غرناطة [17] على يدي فرناندو وايزابيلا ملكي قشتالة وأراغون الموَحَدتَين.

وعندما نقول إنّ الحاجة شديدة لدراسة حضارة الأندلس بشمولية وعمق، نعني أنه علينا دراسة كافّة جوانبها ومكوّناتها وعناصرها، ومن أبرزها بالطّبع، دور المرأة، لا سيّما عندما نعلم أن نساء كثيرات وجّهن سير الأحداث وغيّرنَ، ولو ضمن مدّة زمنية محدّدة، مسار التاريخ ومن الأمثلة على ذلك، عائشة الحرّة موضوع دراستنا.

فما هي الظروف السياسية التي كانت تعيشها الأندلس والتي قيّضت لهذه المرأة تبوّء مكانتها، وأتاحت لها فرصة ممارسة السلطة السياسية، ومن ثم من هي عائشة الحرّة وما هو الدور الذي أدّته، وما هو مستوى أدائها له، وما هي النتائج التي تمخّضت عنه؟

أولا : شملت الدولة النصرية [18] إبّان سطوتها الجزء الجنوبي من الأندلس، وامتدّت حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط ومضيق جبل طارق، ووصلت حدودها الشمالية إلى ولاية إشبيلية [19]، وقد تعاقب على حكمها ما يزيد على عشرين حاكمًا من بني الأحمر، تمتّع أكثرهم بصفات ممتازة، غير أنهم في الوقت عينه تنازعوا السلطة والعرش، ونشأت بينهم صراعات سياسية أضعفت قواهم وشلّت مقاومتهم وعجّلت في غروب دولتهم، في حين كانت قشتالة وأراغون تتوحّدان [20] وتنقضّان على المدن الأندلسة تحتلّانها الواحدة تلو الأخرى، وقد استشعر ابن الخطيب ذلك الخطر الداهم قبل وقوعه بأكثر من قرن [21]،

فأهاب بقومه وإخوانه المسلمين من وراء البحر واستنفرهم للجهاد دفاعا عن الأندلس [22] من دون جدوى.

لم يأتِ النصف الثاني من القرن الهجري التاسع حتى كانت غرناطة قد خسرت معظم أطرافها من الغرب والجنوب، وأحاطت بها القوى الاسبانية من كلّ صوب [23]. رافق ذلك تضعضع الأحوال الداخلية للمسلمين وانقسامهم أحزابًا تحترب وتتصارع، ويستعين بعضهم بالملوك الاسبان لنصرة بعضهم على بعض وقد بات قصر الحمراء ملعبًا لدسائس النساء ومكائدهن، فأشعلت الثورات الأهلية ليستفيد منها الإسبان [24]، وفي سنة 871 هـ /1466 م تولّى العرش السلطان علي أبو الحسن بن سعد الملقّب بالغالب بالله [25]، ولم يتمكن من تثبيت سيطرته على الملك إلّا بعد صراع عنيف مع منافسيه، وفي مقدّمتهم أخوه السيد أبو عبد الله محمد المعلروف بالزغل [26] الذي بويع بمالقة [27]، ثم انضم إلى أخيه ودخلت مالقة تحت سلطة أبي الحسن. كان أبو الحسن شجاعًا مجاهدًا دافع عن أرض المسلمين وحصّن المملكة ونظّم شؤونها [28]. ولكنه لم يدم على هذه الحال، فما لبث أن ركن إلى الدعة واسترسل في اللذات وأهمل رعاية الجيش، وأقبل على قتل كبار القادة ليأمن ثورتهم [29].

ثانيًا : في ظل هذه الظروف وفي هذا الوقت، كان السلطان أبو الحسن قد اقترن بابنة عمّه التي اختلفت الروايات حول اسمها الحقيقي، وحول اسم الوالد الحقيقي لهذه الأميرة. يخبرنا محمد عبد الله عنان في كتابه نهاية الأندلس فيقول : "لا تفصح الرواية الاسلامية لنا عن اسم تلك الأميرة التي تُمثّل في تاريخ المأساة الأندلسية مثولًا قويًا، والتي تحيط الرواية شخصيتها بكثير من الأخبار والسيَر المشجية، فلم يذكره صاحب أخبار العصر" [30]، ولم يذكره المقري الذي نقل روايته، ولم تذكره الروايات القشتالية المعاصرة، ولكن مؤرّخًا قشتاليّا كتب روايته بعد ذلك بنحو قرن، يذكر لنا أن اسمها عائشة، والبحوث الحديثة تحاول، على ضوء بعض الوثائق الغرناطية، أن تقرر لنا أن تسمية هذه السلطانة باسم عائشة هي تسمية خاطئة، وأنّ اسمها الحقيقي هو فاطمة، وأنّها لم تكن ابنة للسلطان الأيسر [31]؛ وإنما كانت ابنة للسلطان الأحنف [32].

بيد أنّ وقد درسنا نصوص هذه الوثائق الجديدة، لا نراها قاطعة في تقرير اسم السلطانة المذكورة، ولا نرى من جهة أخرى سببًا يحملنا على الشّك في رواية صاحب أخبار العصر، وهي أنها كانت ابنة للسلطان الأيسر، وصاحب هذه الرواية مسلم معاصر، كانت لديه سائر وسائل التحقيق والتثبت. وكذلك فإنّ المؤرّخ القشتالي الذي يسمّيها بعائشة قد عاش قريبًا من ذلك العصر واتّصل بشيوخ الموريسكيين أو الأندلسيين المتنصّرين بغرناطة، ومن المرجّح المعقول أن يكون هؤلاء على علم بحقيقة اسم هذه السلطانة التي عاصرها آباؤهم وكانت والدة لآخر ملوكهم، وهذا كلّه إلى الوثيقة التي يورد لنا نصّها، وفيها القول القطع بأنّ والدة أبي عبد الله كانت تُسمّى عائشة.

ومن ثمّ فإنّنا على ضوء ما تقدّم نميل إلى الاعتقاد بأنّ اسم عائشة هو الاسم الحقيقي لزوجة السلطان أبي الحسن ووالدة عبد الله [33].

ومهما كان اسم هذه الأميرة، وسواء أكان والدها الأيسر أم الأحنف، فإن ما يهمّنا هو هذه المرأة التي كانت والدة آخر ملوك الأندلس، والتي كان لها أكبر الأثر في توجيه الأحداث في آخر أيام الدولة الاسلامية في تلك البقاع. وابتداء من اللحظة التي تمّ زواج أبي الحسن بابنة عمّه عائشة، دخلت هذه الأميرة كعنصر مهم في عناصر السياسة الأندلسية في غرناطة.

يقول عنها عنان بأنها "ابنة سلطان وزوج سلطان وأم سلطان" [34]. أمّا الظروف المباشرة التي حتّمت على عائشة خوض غمار الأحداث فقد بدأت عندما أسر المسلمون في إحدى الغزوات فتاة يتراوح عمرها بين عشر سنوات واثنتي عشرة سنة. وقد بيعت في سوق غرناطة بيع الرقيق، ودخلت في خدمة الملك الذي منحها إلى ابنته الأميرة كي تتولّى خدمة فراشها [35].

كان اسم الفتاة إيزابيل دي سوليس، وكانت ابنة لضابط فرسان بيدمار دون سانشو خيمينث دي سوليس الذي مات في حرب ضدّ المسلمين. ومهما يكن من أمر أبيها، فإنّ

الفتاة قد وقعت في قلب أبي الحسن موقع الاستحسان وأحبّها وجعلها زوجته الثانية، وكان من الطبيعي أن تعتنق الاسلام، وقد اتّخذت اسمًا عربيًا هو ثريا.

احتلّت ثريا الرومية، كما كانوا يصفونها في غرناطة وفي القصر معًا، قلب أبي الحسن، وسيطرت على مقدّرات الأمور، فغدت سيدة غرناطة الحقيقية، وكانت ثمرة زواج أبي الحسن بثريا أن ولد لها ثلاثة ابناء [36]، وكانت عائشة التي عُرفت بالحرّة تمييزًا لها عن الجارية الرومية، وإشادة بعفافها وطهرها، قد رُزقت من أبي الحسن بولدين هما: أبو عبد الله محمد، وأبو الحجّاج يوسف.

أهم ما نتج عن هذا الزواج، إنقسام بيت أبي الحسن على نفسه، وتنافس الزوجتين والأولاد وتناحرهم، حيث كانت عائشة ترى أنه من الطبيعي أن يؤول الملك إلى ولدها، بينما كانت ثريا تسعى إلى إبعاد عائشة وولديها وتولية ابنها على عرش غرناطة، الامر الذي فتّ من عضد الدولة وعمل على إضعافها وعجّل بانحلالها وسقوطها.

بدت لنا صورة عائشة الحرّة من خلال هذه الصورة لذلك الزمن القلق، سواء على مستوى غرناطة وحياة المسلمين فيها، أو على مستوى الحياة داخل المنزل السلطاني، امرأة ملكة أثارت الاعجاب والتقدير [37].

حاولت عائشة أن تصوّب الأمور وتحافظ على ولاية العهد لابنها البكر أبي عبد الله، وبذلت ثريا كل ما استطاعت من الاغراء والدّس لإبعاد خصيمتها الأميرة عائشة عن كل نفوذ وحظوة، وحرمان ولديها محمد ويوسف من حقهما في ملك أبيهما، وكان أكبرهما أبو عبد الله محمد ولي العهد المرشّح للعرش، فنزل أبو الحسن عند مساعي حظيته الرومية وأقصى عائشة وولديها، بل اعتقلهم في برج قمارش أمنع أبراج الحمراء وعاملهم بشدّة وقسوة، وكان ينوي قتلهم. وكان المنجمون، حسبما تقول الرواية، قد تنبّأوا لأبي عبد الله عند مولده بأنه سيرقى إلى العرش وسيكون آخر من يرقى من المسلمين، وسوف تسقط غرناطة في أثناء حكمه، وكانت ثريا تستغل هذه الرواية للإطاحة به.

أثار هذا التصرّف غضب كثير من الكبراء الذين يؤثرون الأميرة الشرعية وولديها، ويرون أن العرش من حق سلسل الملك على ابن الجارية الرومية.

كانت الأميرة عائشة امرأة وافرة العزم والشجاعة فلم تستسلم، وكانت ترى أنّ الحفاظ على العرش في ملك عربي أصيل ضرورة قومية وإسلامية، ولا سيما في ذلك الوقت العصيب الذي تهدّد فيه الأندلس بالسقوط، وحيث يعقد الأمراء الاتّفاقيات مع الاسبان ويتحالفون معهم للقضاء على أبناء عمومتهم وإخوانهم.

عمدت عائشة من معتقلها إلى الاتّصال بعصبتها وأنصارها، وفي مقدّمتهم بنو سراج أقوى أسر غرناطة [38]، وأخذت تدبّر معهم وسائل الفرار والمقاومة وفي ذات ليلة، استطاعت أن تفر من الحمراء مع ولديها محمد ويوسف بمعاونة بعض الأصدقاء المخلصين. وتقدم الرواية إلينا عن هذا الفرار صورًا شيّقة فتقول: "إنّ الأميرة استعانت بأغطية الفراش على الهبوط من نوافذ البرج الشاهق في جوف الليل حيث كان بعض الخدم المخلصين ينتظرون مع الجياد على مقربة من الحمراء على شاطئ النهر، وأبدت في ذلك من الجرأة ما يخلق بأبطال الرجال، وكان ذلك في ليالي جمادى الثانية سنة 887 هـ / 1482 م" [39]، ولم يغفر أبو الحسن لبني سراج وقوفهم إلى جانب زوجته وولديه، ويروى أنه عمد إلى قتلهم في قصر الحمراء [40].

قصدت عائشة مع ولديها وادي آش [41]، واختفت فيها حينًا من الزمن حيث كانت تعمل بصمت على استثارة الشعب وجمع الأنصار والاعداد لإعلان الثورة، وكان الشعب بجملته ناقمًا على أبي الحسن، يمقت استهتاره وقعوده. لبثت الأميرة الحرّة في وادي آش إلى أن قويت دعوتها لولدها محمد، وظاهره فريق كبير من أهل غرناطة، فجمع عصبته وأنصاره وأعلن الثورة على أبيه الذي لم يستطع أن يصمد ففرّ إلى مالقة حيث كان فيها أخوه الأمير أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بالزغل [42]، وهكذا تألّق نجم عائشة وولدها مرّة أخرى وعادت إلى غرناطة ملكة [43]، وكانت هي روح الملك الجديد الذي يجلس ولدها على عرشه.

أنّ امرأة تتمتّع بهذه الصفات والخصال، لا يمكن لها إلّا أن تعمل على تثبيت دعائم العرش وتوجه إلى ذلك وتسعى لتوطيد أركان الدولة في غرناطة، ولكن سوء طالعها أنها جاءت في زمن يحتضر فيه ملك العرب في الأندلس ويسير نحو الزوال بخطى متسارعة، ثم إنّ ولدها الملك، وكان يومئذ في نحو الخامسة والعشرين من عمره، لم يكن يتمتّع بشيء من صفات القيادة، ولم يستطع أن يوحّد كلمة المسلمين ويجمع قواهم، ولا أن يحيي سنن الجهاد التي جرى عليها أسلافه، ومع ذلك حاول أن يقاتل الإسبان وشنّ عليهم بعض الهجمات، انتصر في بعض منها، ولكنه هزم ووقع في الأسر عام 887 هـ / 1482 م.

ضجّ الناس في غرناطة وفزعوا لخبر أسير مليكهم، ولكن عائشة تلقّت النبأ بشجاعة وهدوء، ولمّا بكت أمامها مريمة زوج ولدها الفتية الحسناء وابنة الأمير على أحد أنحاء غرناطة، عنّفتها قائلة: "إنّ الدموع لا تليق بابنة مجاهد ولا بزوج ملك، وإن الخطر الأشدّ على ملك يمتنع بقصره منه عليه حين يأوي إلى خيمته، وإنه لواجب على زوجك أن يشتري سلام عرشه بمخاطر الميدان" [(44)].

بقي أبو عبد الله يرسف في أسره حينًا، فانتزع العرش في أثناء ذلك عمّه الزغل، فإذا بعائشة مرّة أخرى، تأخذ الأمور على عاتقها بمفردها، وتناضل من أجل استعادة ولدها وعودته إلى عرشه، وتدخل في حرب جديدة من نوع جديد، ألا وهي حرب الديبلوماسية والمفاوضات والشروط، ولكنّها كانت، كالمرة السابقة، تعتقد أن في عودة ولدها إلى العرش مصدر قوة لغرناطة ولها، ولعلّه سيتمكّن من أن يستعيد في السلام ما خسره في الحرب.

انتهت المفاوضات بين فرديناند وبين عائشة وأصحابها بعقد معاهدة، تقضي بأن يفرج الملك القشتالي عن أبي عبد الله ويساعده في استرداد ملكه، على أن يؤدّي الجزية ويطلق أسرى الإسبان، وأن يقدّم ابنه الوحيد كرهينة مع اثني عشر ولدًا من أبناء الأسر الكبيرة.

يروي لنا شاتوبريان قصة عودة أبي عبد الله إلى غرناطة، فيقول: "وقدم ابن سراج من غرناطة ومعه ولد أبي عبد الله وأبناء الأشراف الغرناطيين، فأودعهم رهنًا وجيء بالسلطان أبي عبد الله إلى غرناطة، ولمّا وصل إلى الحاضرة ثار به والده وأصحاب والده من جهة،

وانتصرت له والدته ومن إليها من جهة أخرى، وارتضى أبو عبد الله أخيرًا الخروج من غرناطة والانحياز إلى ألمرية [45]، المدينة الثانية، بعد تلك الأبّهة والشأن وتشامخ البنيان، لكن والدته حرسها الله لم تكن راضية عن ذلك؛ بل قالت إن الملك الذي لا يقدر أن يستقر في عاصمة ملكه لا يصح أن يسمّى ملكًا" [46].

لم يستطع ملوك الاسبان الصبر لمدّة طويلة، خصوصًا أن قوى خصومهم قد أنهكتها الحروب الأهلية، فسيّر فرديناند قواته سنة 892 هـ /1487 م إلى مالقة والمرية ووادي آش فاستولى عليها جميعًا وأنهى ملك الزغل، ثم أخذ يعدّ العدّة للإجهاز الأخير على دولة الاسلام في الأندلس بالاستيلاء على غرناطة، فضرب حولها الحصار عام 896 هـ / 1491 م.

ولسنا في معرض الحديث عن الأحداث والتفاصيل التي رافقت مأساة سقوط غرناطة، ولكننا نذكر أن الحصار دام عشرة أشهر استنفد فيها المسلمون كل وسائل الدفاع والمقاومة، ثم انتهى المسلمون بالاذعان والتسليم وفق شروط اشترطوها واعتقدوا أنّها تكفل سلامتهم وسلامة دينهم وتراثهم، ودخل الاسبان غرناطة في سنة 897 هـ / 1492 م، واحتلوا حمراءها وباقي قصورها وحصونها وخفق علمهم فوق صروحها.

كان ممّا قضته معاهدة التسليم أن يغادر الملك المنكود أبو عبد الله غرناطة مع أهله وصحبه إلى البشرات، وأن يحكم هذه المنطقة بأمر ملك قشتالة. وقد جاء على ذكر والدته عائشة لجهة الحفاظ على كامل حقوقها [47]. وهكذا خرج أبو عبد الله من الحمراء وغرناطة في منظر يثير الأسى والشجن.

في صباح ذلك اليوم، كان صوت البكاء والعويل يتردّد في غرف قصر الحمراء، وكانت الحاشية تعدّ أمتعة أبي عبد الله وأسرته، وقد ساد الوجوم كل محيا، ويصف لنا عنان المشهد: ما كانت تباشير الصباح تبدو، حتى غادر القصر ركب قاتم مؤثر، هو ركب الملك المنفي يحمل أمواله وأمتعته، ومن ورائه أهله وصحبه القلائل وحوله كوكبة من الفرسان المخلصين، وكانت الأميرة عائشة تمتطي صهوة جوادها صامتة، يشعّ الحزن من محيذاها الوقور، ولكن مريمة زوج السلطان وباقي السيّدات كنّ يرسلن الزفرات العنيفة والدموع

السخيّة. وهنا تقول الرواية إنّ أبا عبد الله أشرف في أثناء سيره في شعب تلك البذول (بادول) على منظر غرناطة، فوقف يسرح بصره لآخر مرّة في هاتيك الربوع فيها وشهدت مواطن عزّه وسلطانه، فانهمر في الحال دمعه وأجهش بالبكاء، فصاحت به أمّه عائشة: أجل فلتبكِ كالنساء ملكًا لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال.

وتعرف الرواية الاسبانية تلك الأكمة التي كانت مسرحًا لذلك المنظر المحزن باسم شعري مؤثر هو: "زفرة العربي" وما تزال قائمة حتى اليوم يعينها سكان تلك المنطقة للسائحين.

كذلك تقول الرواية الاسبانية إن باب غرناطة الذي خرج منه أبو عبد الله وأمّه الملكة عائشة لآخر مرّة، قد سدّ عقب خروجه منه، وبني مكانه حتى لا يجوزه من بعده إنسان.

ونحن نعرف أنّ الملك المنكود أبا عبد الله غادر إسبانيا بعد ذلك بقليل والتجأ إلى بلاط فاس وعاش أعوامًا طويلة في غمر الحسرات والندم وتوفي سنة 940 هـ / 1534 م، أمّا أمّه الأميرة الباسلة عائشة الحرّة فلسنا نعرف عنها منذ غادرت غرناطة إلى البشرات شيئًا [48].

والآن يُطرح السؤال: هل يمكن لنا أن نعتبر عائشة الحرّة قائدة، استطاعت أن تتبوّأ موقع القيادة الاسلامية في مرحلتها وفي مملكتها بجدارة؟ وهل تمتّعت بالصفات القيادية المطلوبة، وهل كان أداؤها بالمستوى المطلوب؟ وهل كان لها أثر إيجابي على سير الأحداث؟

لا بدّ لنا للإجابة عن هذه الأسئلة من معرفة المعايير التي كان علماء السياسة والاجتماع يتوافقون على أنها من الصفات المطلوبة للقادة.

حدّد ابن خلدون في مقدّمة كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر صفات لا بدّ منها للملك، منها: أن يكون صالحًا رقيقًا حليمًا، وأن يكون منعمًا على أبناء شعبه، مدافعًا عنهم، ناظرًا في معايشهم، يقظًا [49].

أما ابن الخطيب فيجد فيمن يتولّى أمور السياسة والناس أن يكون "قديم النعمة، بعيد الهمّة، مسدّد الفهم وثاقبه، واثبًا عند الفرصة، أصيل الديانة، قاهرًا للهوى، نشيطًا

للعمل، خبيرًا بسير الأمم، لا ملق ولاهيابة، مؤثرًا للصدق، صادعًا بالحق، حافظًا للأسرار، مباينًا بطبعه لخلق الأشرار" (50).

بناء على ما ورد أعلاه، نجد أن جملة مواقف شكّلت حياة هذه الأميرة وجعلت منها امرأة قائدة، وجهت مسار الأحداث محاولة التّغيير في المصير الذي كانت الأندلس وغرناطة تتّجهان إليه، وهي في ذلك تمتّعت بصفات شخصية عالية، ذكرها لنا مؤرّخو تلك المرحلة بكثير من الاحترام والحب.

يقول عنان: "يقترن اسم عائشة بتاريخ المأساة الأندلسية، مأساة خاتمة الدولة الاسلامية في الأندلس، كما تقترن بها أسماء أخرى أكثر ذيوعًا وذكرًا، وفي مقدّمتها اسم ولدها المنكود أبي عبد الله، ولكن لعلّ اسمًا منها لا يثير الاعجاب والاحترام والأسى والشجن، قدر ما يثير ذكر هذه الأميرة النبيلة الساحرة التي تذكّرنا خلالُها البديعة ومواقفُها الباهرة وشجاعتها المثلى في خلال الخطوب المدلهمة، بما نقرأ في أساطير البطولة القديمة من رواية السيَر والمراقف.

والواقع أنّ حياة عائشة الحرّة تبدو لنا من خلال الحوادث التي ترتبط بها كأنّها صفحة من القصص الشجي، أكثر ممّا تبدو لنا صفحة من التاريخ الواقع، وهذا اللون القصصي لا يرجع فقط إلى كونها أميرة أو امرأة تشارك في تسيير الملك أو توجيه الأحداث، ولكن يرجع بالأخص إلى شخصيتها القوية وإلى رفيع مثلها، وإلى سمّو روحها، وإلى حنانها الجريء يواجه كلّ خطر ويسمو فوق كل خطب ومصاب" (51).

نجد، بعد هذا كلّه، أنّ عائشة كانت واحدة من رئيسات الدولة في الاسلام اللواتي يتمتّعن بكل الخلال والصفات المؤهلة للقيادة ممّا يؤكّد الاعتقاد بأنّ القيادة أمر إنساني يتولّاه من وجدت فيه مقوّماته بغض النظر عن كونه امرأة أو رجلًا.

قائمة الإحالات:

الهوامش

1 – عائشة الحرّة المكنّاة أم أبي عبد الله. عرفها الاسبان باسم ماري بو عابدول، وهو اللفظ الاسباني لكنيتها. أنظر: حتاملة، محمد عبده: محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها، الجامعة الأردنية، 1977:11 وما بعدها.

2 – ملحس، ثريا: المرأة العربية إلى أين؟ محاضرة في مدرسة بيروت الانجيلية للبنات، بيروت، 1974، ص و9.

3 – العمري، ياسين بن خير الله: الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، تحقيق رجاء محمود السامرّائي، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1987، ص 47-56.

4 – خشاب، مصطفى: مقومات المجتمع العربي، مطبعة لجنة البيان العرب، القاهرة، 1962، ص 194. والبستاني، كرم النساء العربيات، دار صادر، بيروت، 1964، ص 34.

5 – حسن، إبراهيم حسن: تاريخ الاسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1947، ص .64

6 – الحوفي، محمد أحمد: المرأة العربية في الشعر الجاهلي، ط2، مطبعة المدني، القاهرة، 1954، ص 433.

7 – تدمر مدينة قديمة مشهورة في العصر الجاهلي في بر الشام، قيل إن الجن بنوها للنبي سليمان. الحموي، ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت 1955، ص 2-17 (مادة تدمر).

8 – خلفت زوجها أذينة (ت 268 م / 375 ق. ه) بالوصاية على ابنها، ولم تلبث أن حاربت الرومان وطردتهم وفتحت آسيا الصغرى، وضربت النقود باسمها، قاتلها الامبراطور أورليانوس فانتصر في أنطاكية، وحاصر تدمر، فجاع أهلها، وأرادت النجاة بنفسها، فقبض عليها، وحملت أسيرة إلى روما حيث توفيت سنة 285م/358 ق. ه. أنظر: الموسوعة العربية المتيسرة، بإشراف محمد شفيق غربال، ط1، دار الشعب، القاهرة، 1959، ص 929.

9 – فواز، زينب: الدرّ المنثور في طبقات ربات الخدور، ط1، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، 1894، ص 227.

10 – هي بلقيس بنت الهدهاد بنت شرحبيل، يمانية من أهل مأرب، وليت الملك بعد أبيها في اليمن كلّه. واتّخذت سبأ قاعدة ملكها، تزوّجت الملك سليمان، وأقامت معه سبع سنين وشهورًا. ثم ماتت فدفنها بتدمر. أنظر: الموسوعة العربية الميسرة، ص 400. وكحالة، عمر رضا: أعلام النساء، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1951، ص1-142.

11 – القرآن الكريم، سورة النمل، الآية 19 وما بعدها.

12 – كحالة، عمر رضا: أعلام النساء: 1-395.

13 – المرجع نفسه: 41:2.

14 – بالنثيا، آنخل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، تعريب حسين مؤنس، ط1، مكتبة النهضة المصرية، 1955، ص 24 – 25. أنظر: حول حضارة الأندلس: إبن حزم الأندلسي ك رسائل ابن حزم الأندلسي، أربعة أجزاء، تحقيق إحسان عباس، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980، 3: 173 وغيرها في أجزاء أخرى. وبروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية، تعريب نبيه رضا فارس ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1965، في صفحات متفرقة. والأصفهاني، أبو عبد الله عماد الدين محمد بن نفيس الدين حامد: خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس، تحقيق آذر تاش آذرنون، نقحه محمد المرزوقي، تونس، دار التونسية للنشر، 1971، في صفحات متفرقة.

والأصفهاني: الأغاني ن تحقيق لجنة من الأدباء بإشراف عبد الستار أحمد الفراج، ط8، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1990، في صفحات متفرقة.

15 – العدواني، أحمد مشارف: حضارة الأندلس، مقالة في مجلة عالم الفكر، الكويت، وزارة الإعلام، المجلد 12، إبريل – مايو – يونيو 1981، ص 3 وما يليها.

16 – دولة بني الأحمر أو بني نصر آخر دول الاسلام في الأندلس، وقد امتدّت منذ العام 635 هـ /1238 م حتى العام 897 هـ / 1492 م، ولم يعرف سبب اللقب الأول، أما الثاني فيعود إلى مؤسس الدول النصرية هو أبو عبد الله محمد بن يوسف الغالب بأمر الله، وكان يعرف بالشيخ ويلقّب بأمير المسلمين (ت671هـ / 1273م) وهو من أحفاد نصر بن قيس الخزرجي الذي ينتهي نسبه إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج وأحد كبار الصحابة .أنظر في ترجمته: ابن الخطيب، لسان الدين: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهارسه ونشره محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1928، ص 30. والمقري التلمساني، أحمد بن محمد (ت 1041 هـ / 1631 م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، 1968 :1:446. والزركلي، خير الدين: الأعلام، قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، 1982، 7:132.

وعن سبب التسمية باسم الأحمر، أنظر: عنان، محمد بن عبد الله: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط1، مطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية، 1368 هـ/1949 م :52. وبول، ستانلي: قصة العرب في لإسبانيا، تعريب علي الجازم بك، مطبعة المعارف، القاهرة، 1944، ص .185

17 – تعدّ غرناطة درّة الأندلس بسبب موقعها ومحيطها فقد أقيمت على ربوتين كبيرتين هما ربوة الحمراء وربوة البيازين، ويخترقها نهر حَدرَة أو هدرة، فرع نهر شانيل، وقد افتتحها العرب في المراحل الأولى لدخولهم الأندلس سنة 92 هـ / 711 م، واستطاعت دولة غرناطة أن تعمر زهاء مئتين وخمسين عامًا، وأن تعيد شيئا من مجد الأندلس الذاوي. أنظر: ابن الخطيب، لسان الدين: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عنان، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1955، 1:121. والقلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق نبيل الخطيب، دار الكتب العلمية بيروت، 1987، 5:215. وابن بطوطة، أبو عبد الله محمد: رحلة ابن بطوطة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980، ص.670

18 – لمزيد من الاطّلاع على قيام دولة بني الأحمر، أنظر: الحمصي، أحمد سليم: ابن زمرك الغرناطي، ط1، مؤسسة الرسالة، دار الأيمان، طرابلس، 1985، ص 43 وما يليها. والخطيب، نبيل: ابن الخطيب ثقافته وعصره، دار النهضة العربية، بيروت، 2013، ص 9 وما يليها.

19 - إبن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة: 101-103. ولمزيد من الاطّلاع على أحوال الأندلس وأسبيلية، أنظر: خالص، صلاح: إشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، لبنان، 1981، ص6.

20 – يروفنسال: الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكي، ط1، دار المعارف، 1979، ص.145

21 – عنان: نهاية الأندلس، ص .145

22 – أنظر النداء الذي وجهه: المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1940، ص .64

23 – عنان: نهاية الأندلس ص 147. والبستاني، بطرس: معارك العرب في الأندلس، ط1، منشورات دار المكشوف، بيروت، 1950، 105 وما يليها.

24 – البستاني، بطرس: معارك العرب، ص.107

25 – المقري: نفح الطيب: .511:4

26 – الزغل: بمعنى الشجاع والفتى، وفي لسان العرب: زَغَلٌ وزُغَلٌ: أسماء. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، د.ت.، بيروت، 305:11: مادة (زغل).

27 – إحدى مدن الأندلس، تقع على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء وألمرية. الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1978، .43:5

28 – المقري: نفح الطيب 57:4. وعنان: نهاية الأندلس: 149 – .148

29 – البستاني، بطرس: معارك العرب: 107. وفرحات، يوسف شكري: غرناطة في ظل بني الأحمر، دراسة حضارية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1982 :56 وما يليها. وعتيق، عبد العزيز: الأدب العربي في الأندلس، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1976 :120 وما يليها. والطباع، عبد الله أنيس: القطوف اليانعة من ثمار جنّة الأندلس الاسلامي اليافعة، ط1، دار ابن زيدون، بيروت، 1986:113 وما يليها.

30 – مؤلف مجهول: أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر، نشره المستشرق الألماني م. ي ميلر، مع ترجمة ألمانية تحت عنوان "أيام غرناطة الأخيرة"، ثم نشره معهد فرانكو بتطوان، بعناية ألفريد البستاني، بعنوان "نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر"، أنظر: عنان: نهاية الأندلس :.149

31 – هو أبو عبد الله محمد بن يوسف الثالث، لقّب بالأيسر، تسلّم السلطة بعد موت أبيه، وكان صارمًا قاسيًا بعيدًا عن الاهتمام بحاشيته، تولّى العرش سنة 820 هـ / 1417 م، وتوفي سنة 858 هـ/ 1417 م، حيث تولى بعده ابن شقيقه سعد بن إسماعيل، الذي هاجم ابن عمّه محمد بن الأحنف الذي كان بدوره قد ثار على عمّه الأيسر، وقد تمكّن سعد من هزيمة الأحنف ودخل المدينة وتسلّم الملك. أنظر: فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ص 53 -54 – .55

32 – المرجع نفسه والصفحات نفسها.

33 – عنان: نهاية الأندلس، ص.149

34 – عنان: عائشة الحرة، مقال منشور في مجلة الهلال، الجزء 5، محرم 1358هـ / مارس 1939، دار الهلال، مصر، ص492 وما يليها.

35 – حتاملة: محنة مسلمي الأندلس، ص11 وما بعدها.

36 – المصدر نفسه، ص 14.

37 – عنان ك نهاية الأندلس، ص 150، ومجلة الهلال، الجزء 5، ص 492، وكحالة: أعلام النساء، ص .156

38 – أنظر: ألفيكونت دو شاتوبريان: آخر بني سراج ويليها خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة، ترجمة شكيب إرسلان، مطبعة المعارف بمصر، 1925. ويليها كتاب أخبار العصر في انقضاء دولة بني نص، وهو ذيل على الكتاب.

39 – عنان: تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ط1، دار المعارف بمصر، 1947، ص 230.

40 – أنظر: عنان: نهاية الأندلس، ص 121 – .153

41 – وادي آش، مدينة تقع شمال شرق غرناطة، أنظر: المقري: نفح الطيب، 1: 149 – 150. وكذلك أنظر: عنان: الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، ط2، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1961، ص.215

42 – عنان: نهاية الأندلس، ص153، وتراجم إسلامية، ص.230

43 – عنان: الهلال، ص .494

44 – شاتوبريان: آخر بني سراج، ص 253.

45 – ألمرية: مدينة أندلسية أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن بن أحمر سنة 344 هـ. أنظر: الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم: صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، عني بنشره لسفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1930 م.، ص 183 - 184. وابن حوقل النصيبي، أبو القاسم: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت. ص .111

46 – شاتوبريان: آخر بني سراج، ص .254

47 – المرجع نفسه، ص .337

48 – عنان: الهلال، ص 492 وما يليها. وتراجم إسلامية، ص 240 وما يليها. ونهاية الأندلس، ص 19 وما يليها. والبستاني: معارك العرب في الأندلس، ص.120

49 – إبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت.، ص188 – 189.

50 – إبن الخطيب، محمد بن عبد الله (لسان الدين): الإشارة إلى أدب الوزارة في السياسة، نشره عبد القادر زمامة، دمشق، 1972، ص .10

51 – عنان: الهلال، ص492.

فهرس المصادر والراجع

– ابن بطوطة، أبو عبد االله محمد: رحلة ابن بطوطة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980.

– ابن حزم الأندلسي: رسائل ابن حزم الأندلسي، أربعة أجزاء، تحقيق إحسان عباس، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980.

– ابن الخطيب، لسان الدين: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهارسه ونشره محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1928.

– ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1955.

– ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت.

– ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

– الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس، تحقيق آذر تاش آذرنون، نقحه محمد المرزوقي، دار التونسية للنشر، تونس، 1971.

– بالنثيا، آنخل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، تعريب حسين مؤنس، ط1، مكتبة النهضة المصرية، 1955.

– بروفنسال: الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكي، ط1، دار المعارف، 1979.

– بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية، تعريب نبيه رضا فارس ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1977.

– البستاني، بطرس: معارك العرب في الأندلس، ط1، منشورات دار المكشوف، بيروت، 1950.
– حتاملة، محمد عبده: محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها، ط1، الجامعة الأردنية، 1977.
– حسن، ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1947.
– الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1955.
– الموي، ياقوت: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1978.
– الحوفي، محمد أحمد: المرأة العربية في الشعر الجاهلي، ط2، مطبعة المدني، القاهرة، 1954.
– خالص، صلاح: إشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، بيروت،1981.
– خشاب، مصطفى: مقومات المجتمع العربي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1962.
– الخطيب، نبيل: ابن الخطيب وعصره وثقافته، دار النهضة العربية، بيروت، 2013.
– الفيكونت دوشاتوبريان الكاتب الفرنسي الشهير: آخر بني سراج، ويليها خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة، ترجمة شكيب إرسلان، مطبعة المعارف بمصر، 1925. ويليها كتاب أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر، وهو ذيل على الكتاب.
– الزركلي، خير الدين: الأعلام، قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، 1982.
– الطباع، عبد الله أنيس: القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الاسلامي اليافعة، ط1، دار ابن زيدون، بيروت، 1986.
– عتيق، عبد العزيز: الأدب العربي في الأندلس، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1976.
– العدواني، أحمد مشارف: حضارة الأندلس، مقالة في مجلة عالم الفكر، الكويت، وزارة الإعلام، المجلد 12، 1981.
– العمري، ياسين بن خير الله: الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، تحقيق رجاء محمود السامرائي، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1987.
– عنان، محمد عبد الله: عائشة الحرة، مقال منشور في مجلة الهلال، الجزء5، دار الهلال، مصر، مارس 1939.
– عنان، محمد عبد الله: تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ط1، دار المعارف بمصر، 1947.
– عنان، محمد عبد الله: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط1، مطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية، 1949.
– عنان، محمد عبد الله: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ط2، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1961.
– الفتح بن خانقان: قلائد العقيان، مصورة عن طبعة باريس، تقديم محمد العنابي، تونس، دار الكتب الوطنية، 1966.
– فرحات، يوسف شكري: غرناطة في ظل بني الأحم، دراسة حضارية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1982.
– فواز، زينب: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ط1، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، 1894.
– القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشا في صناعة الإنشا، تحقيق نبيل الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

– كحالة، عمر رضا: أعلام النساء، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1951.
– ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت.
– المقري التلمساني، أحمد بن محمد: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإيباري وآخر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1940.
– المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، 1968.
– ملحس، ثريا: المرأة العربية إلى أين؟ محاضرة في مدرسة بيروت الانجيلية للبنات، بيروت، 1974.
– الموسوعة العربية المتيسرة، بإشراف محمد شفيق غربال، ط1، دار الشعب، القاهرة، 1959.
– مؤلف مجهول: أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر، نشره المستشرق الألماني م.ي. ميلر، مع ترجمة ألمانية تحت عنوان: أيام غرناطة الأخيرة، ثم نشره معهد فرانكو، بتطوان، بعناية ألفريد البستاني بعنوان "نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر".